

تاريخ القبول: 2018/09/27

تاريخ الإرسال: 2018/09/25

**نظم ومميزات العمل الخيري والتكافل الاجتماعي في مجتمع أهقار
(لمحة تاريخية)**

**CHAEITY SYSTEMS AND SPECIFITIES AND
SOCIALE SOLIDARITY IN THE AHAGGAR
SOCIETY (HISTORICAL STUDY)**

د. كديده محمد مبارك

m.mebarektam@yahoo.fr

المركز الجامعي تامنغست

الملخص: تتناول الورقة العلمية نظم ومميزات العمل الخيري والتكافل الاجتماعي بمنطقة الهقار من منظور التاريخ الاجتماعي حيث تتبع التغيرات الاجتماعية عبر مرحلة تاريخية تمتد من النصف الثاني للقرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتكمن أهمية ذلك في كون الأنظمة والعلاقات الاجتماعية لها تأثير كبير على نمط العمل وطبيعته وتختلف من مجتمع إلى آخر حسب العادات والمؤثرات الاجتماعية والمنظور الجماعي للكيف والطريقة.

تختلف المصطلحات المستخدمة من فترة زمنية إلى أخرى و هذا بفعل التطور الحاصل على مستوى المجتمعات و التجمعات الإنسانية إما تطورا أو تأقلا مع الأوضاع المختلفة المحيطة بحياة هذا الانسان أو الجماعة التي تعيش معه في محيطه سواء كانت تربطه بها علاقات إثنية أو دينية أو إقتصادية أو غيرها من الروابط التي تشكل محور العلاقات بين الجماعات و الأفراد ، و إما تأثرا بعوامل خارجية أو مجاورة فتظهر مصطلحات لم تكن مستعملة و لكن مدلولات الأفعال بالمسميات الجديدة كانت موجودة و لكن بصور أخرى و ربما هناك أشياء جديدة طارئة استوجبتها النظم الجديدة في المجتمع

الكلمات المفتاحية: التكافل - الهقار - العمل الخيري - التغير الاجتماعي

Abstract:

This paper discusses the systems and features of charitable work and social solidarity in Ahaggar area from social and historical perspectives. It pursues social changes across a historical period which started from second half of the nineteenth century till the beginning of the twentieth century. The social systems and relationships assume much importance and influence to work type and its nature, it is different from society to another according to traditions, social factors and perspective on the prevalent manner.

The undergoing change to human societies causes the popular terms to be different according to periods, it may reflect the development or adaptability to surrounding conditions, including ethnic groups which they are connected to them economically, religiously or ties that embodies the most important component in relationships between groups and individuals, either influenced by adjacent or external factors, so unusual terms emerge and develop, but the connotation of actions with new names have been existed in different names.

Keyword: solidarity, Ahaggar, charitable work.

مقدمة

لا يخلف اثنان في أهمية علم التاريخ و لكن قد يختلفان في قضية تحديد المواضيع التي يمكن أن يدرسها هذا العلم فقد أبان هذا العلم على أن هامش المواضيع التي لا يمكنه تناولها محدودة جدا خاصة في ظل الرغبة في إكتشاف المراحل التاريخية لتطور أي ظاهرة و هي ميزة أعطته هامشا إضافيا واسعا جدا ، و تختلف المصطلحات المستخدمة من فترة زمنية إلى أخرى و هذا بفعل التطور الحاصل على مستوى المجتمعات و التجمعات الإنسانية إما تطورا أو تأقلا مع الأوضاع المختلفة المحيطة بحياة هذا الانسان أو الجماعة التي تعيش معه في محيطه سواء كانت تربطه بها علاقات إثنية أو دينية أو إقتصادية أو غيرها من الروابط التي تشكل محور العلاقات بين الجماعات و الأفراد ، و إما تأثرا بعوامل خارجية أو مجاورة فتظهر مصطلحات لم تكن مستعملة و لكن مدلولات الأفعال بالمسميات الجديده كانت موجودة و لكن

بصور أخرى و ربما هناك أشياء جديدة طارئة أستوجبتهما النظم الجديدة في المجتمع ، و تكمن الصعوبة في محاولة تتبع جذور بعض الأمور حتى وصلت إلى حالتها التي هي عليها خاصة لما تكون العينة نادرة الكتابات التي تتناول الأمر كما هو الشأن بالنسبة لمنطقة الهقار مع العلم أن الكتابات في قليلة جدا بل نادرة و بالتالي فالباحث يواجه أمرين صعبين في آن واحد ، و لكن هذا لا يثنيانا عن تناول الموضوع و تتبع آثاره ، فقبل أن يظهر العمل الخيري في أشكاله الحالية كان على أشكال أخرى قبل أن ينظم في جمعيات و هيئات تنظمه و تسعى فيه في مجتمع تغير من نمط الترحال إلى الاستقرار و تغيرت أكثر من مرة أنظمتها الاقتصادية و الاجتماعية تبعاً للمؤثرات و الأحداث التاريخية فقد كان تكافلا و تكاملا إجتماعيا قبل أن يصبح منظما بالأشكال الحالية و يصبح عملا خيرا .

أولاً: المحطات التاريخية الكبرى و العوامل المؤثرة في تغيير الأنظمة الاجتماعية بمنطقة الهقار:

المرحلة الأولى من عام 1850 - 1902م: تعد هذه المرحلة مرحلة مهمة في تاريخ المنطقة حيث كانت المنطقة تتمتع بحصانة اتجاه الأخطار الخارجية و فقد كان عام 1830م عام سقوط مدينة الجزائر و بداية التوسع الفرنسي نحو الداخل الجزائري كبداية للمرحلة و انتهت المرحلة الأولى حسبني سنة 1902م بعد معركة تيت و التي انتهت بعدها مرحلة الحصانة و الغموض بالنسبة للمنطقة .

و قبل هذه الفترة تعاقب على رأس نظام تمنوكلة في منطقة الأهقار خمسة هم صالح و محمد الخير بن صالح و يونس أق سيدي و أق مامة أق سيدي و في هذه المرحلة التي نركز الدراسة عليها كمرحلة أولى في محطات التغيير الاجتماعي التدريجي في أهقار تعاقب عليها ثلاثة آخرون هم :

- الحاج أحمد أق البكري 1850-1877م .
- أهيتاغل أق محمد بيسكا 1877-1900م.
- أتسي أق أمال 1900-1904م⁽¹⁾.

و بداية التغييرات البارزة التي غيرت العديد من الأمور على مستوى مجتمع أهقار بداية من مرحلة حكم الأمنوكال " الحاج أحمد البكري⁽²⁾ فالمعروف أن الحاج أحمد البكري شجع واحدا من أهم النشاطات التي غيرت الكثير من المعطيات على مستوى المنطقة فقد إستقدم خبراء في الزراعة و حفر الفقارات من مناطق تيديكلت ، و ازدهرت في عهده الزراعة فقد كانت التجربة الأولى الناجحة على ضفاف وادي إيدلس و كرر التجربة في تازروك و كان الاتفاق بين الطرفين خبراء تيديكلت أن لا يزرع النخيل⁽³⁾ والملاحظ أن طلب عدم زراعة النخيل هو حفاظ منطقة تيديكلت على تخصصها وعلى محصولها الأساسي الذي تبادل به مختلف السلع في القوافل القادمة إلى المنطقة محملة بالعديد من المنتجات الأخرى وهذا تكامل بين الاقليمين.

إن سعي الحاج أحمد الحثيث غير المعطيات على الأرض حيث كان النشاط الأساسي هو الرعي وستحدث عن مورد آخر هو رسوم الحماية و الغزوات التي كان يقوم بها السكان للاستزراق فغير الوضع و صارت البساتين في أهقار تنتج مجموعة من الحبوب و الفواكه و الخضار التي كان يتم تجفيفها و نقلها في القوافل التجارية كمنتجات يتم مقايضتها بسلع أخرى غير موجودة في الهقار و فتح المجال واسعا لواحد من أهم النشاطات التي غيرت مفهوم العمل و طريقة الاستزراق في المنطقة و انتقلت إلى العديد من المناطق و تنوعت تقنيات الري فوصلت إلى مناطق أخرى كمنطقة أبلسة على سبيل المثال لا الحصر⁽⁴⁾ ، و كان القمح من أبرز و أحسن منتجات منطقة الهقار الذي تصدره إلى المناطق الأخرى⁽⁵⁾ .

و تغيرت ديناميكية الحياة كثيرا بسبب الثورة الزراعية التي أحدثها الحاج أحمد إن صح التعبير و ظهر مجموعة من العلاقات و التكامل بين فئات المجتمع على أساس المهن و راحت تتطور حيث أن الفلاح يحتاج إلى مجموعة من الأدوات و هذه الأدوات يصنعها الحرفي أو الحداد أو " إينض" كما يطلق عليه في تماق و هذا الحرفي يحتاج القمح أو أي منتج من المنتجات الزراعية ليعول به عائلته فيصنع للفلاح أدواته التي يحتاجها في مقابل يخصص له الفلاح ركنا من المنتج موجهة له ، و نفس الشيء مع معلم القرآن أو الامام الذي يخصص له ركن في الإنتاج يغنيه عن البحث عن معيشته

فينشغل بالتدريس و أمور الدين⁽⁶⁾ هذه الأمثلة تدل على نمط التكامل الذي أشرنا إليه سابقا حيث يسد كل فئات المجتمع حاجات بعضهم في نظام متكامل يحفظ لكل منهم مكانته و أهميته في المجتمع ستستمر إلى غاية تدخل الاحتلال الفرنسي في نظام الحياة.

وقبل دخول الاحتلال الفرنسي إلى منطقة الهقار كان نشاط القوافل التجارية من بين أبرز العوامل المؤثرة في العلاقات البيئية ما بين المناطق المجاورة للهقار و القريبة منها و التي ستتوطد معها العلاقات أكثر كتديكلت و توات و بعض المناطق التي كانت تعد مراكز وأسواق تجارية وحواضر علمية، فمن المعروف أن الاحتلال الفرنسي كان سعيه الدؤوب للدخول على خط التجارة الصحراوية ومعظم بعثاته الاستكشافية كانت تركز أيضا على هذا الجانب كواحد من بين الجوانب الأساسية وعلى سبيل المثال رحلتي فلاترز إلى مواطن التوارق ما بين عامي 1880 و 1881م⁽⁷⁾ وما تلاها من بعثات كهنري دوفيرييه⁽⁸⁾ و حتى هنري بارث الذي سبقهم و الذي ركز على العديد من المحطات التجارية و العلمية كحاضرة تنبكتو⁽⁹⁾ و هو الذي تتبع العوامل المؤثرة في العلاقات ما بين الشعوب في تلك الفترة و هو الذي صرح في مقال له إثر عودته من رحلته الاستكشافية الشهيرة و التي فتحت معلوماتها حول المجتمعات الصحراوية و مجتمعات جنوب الصحراء أفقا كبيرا للاحتلال الفرنسي أنه يتوجب على فرنسا أن تتقهم عقلية السكان و أن تستعمل معهم أساليب متعددة ما ستمكنها من السيطرة و تحقيق نتائج مبهره⁽¹⁰⁾ ، و قد كان تركيز الفرنسيين كبيرا على دخول خط التجارة الصحراوية و خاصة أنها كانت تجس النبض أتجاه التوارق الداين لهم تأثير على هذه التجارة و التي تعبر مواطنهم و إدراكا منها لأهمية أعدامس في التجارة الصحراوية⁽¹¹⁾ راحت تبحث بشتى الوسائل لفهم الوضع على الأرض⁽¹²⁾ .

و توجت فرنسا مجهوداتها التي كانت في إطار الصراع الفرنسي البريطاني⁽¹³⁾ بتوقيع اتفاقية أعدامس في 22 نوفمبر 1862م و التي حققت بموجبها هدفين دفعة واحدة حسم صراعها في القسم الغربي من القارة لصالحها⁽¹⁴⁾ و الاحتكاك رسميا بزعماء التوارق و هي بداية مشجعة إذ وقعت الاتفاقية المذكورة مع أخنوخ أنموكال

ن-آجر التي جعلت منهم - أي الفرنسيين - جزءا من التجارة الصحراوية⁽¹⁵⁾ ، و الملاحظ هنا أن بالرغم من من أن المعاهدة كانت قد وقعت مع أموكال ن-آجر إلا أن الفرنسيين كانوا يرغبون في إطار رغبتهم السيطرة على أطراف التجارة الصحراوية و بالتالي لم تعد لهم مشكلة مع توارق آجر و بقي لهم أن يحسموا الأمر مع أهقار كذلك و قد رفض أموكال أهيتاغل أق بيسكا أي تعامل مع الفرنسيين و في عهده كانت محاولة الفرنسيين الاحتكاك و اختراق الهقار و الحصول على معلومات أوسع ، و في عهده توجهت إلى الهقار أحد أهم البعثات التي أدى مصيرها الذي واجهته في الهقار إلى تغيير كبير في المنهج و الاستراتيجية الفرنسية في الهقار و هي المهمة التي قادت فلاتيرز ما بين أكتوبر 1880 و فيفيري 1881م إلى منطقة الهقار ، فالنهاية التي واجهتها البعثة جعلت الفرنسيين يدركون أنه لا يمكنهم التسلل و اختراق المنطقة إلا باستخدام القوة⁽¹⁶⁾ مع التصميم ذاته على أتمام التدخل في نظام تجارة القوافل الصحراوية⁽¹⁷⁾ .

و هذه الأحداث بداية لتغيرات جديدة حيث قامت بعثة "فلامون" التي انطلقت من ورقلة بتاريخ 28 نوفمبر 1899م مستهدفة احتلال عين صالح السوق الرئيسية للهقار ، و بالرغم من وفاة الأموكال السابق أهيتاغل إلا أن الأموكال الجديد واصل نبرة التحدي لقوات الاحتلال الفرنسي حتى بعد إحتلال عين صالح⁽¹⁸⁾ «...إذا أتيت إلى الهقار فسوف أقضي عليك بالقوة و بالغزو ، و إذا منعت قوافلي من التموين من سوق تيديكلت فسوف آتي و أقطع كل نخيل الواحات...»⁽¹⁹⁾ ، إذ إن الأخطار المحدقة بحياة السكان أصبحت متعددة و خاصة أن الفرنسيين سيطبقون ما يشبه حصارا إقتصاديا على المنطقة سهله سيطرتهم على السوق الأساسية له ، ثم سرعان ما سيتطور هذا الحصار الاقتصادي إلى إحدى أدوات تدخل الاحتلال الفرنسي في نظام تموكلة و تتدخل في الأمور و تنهي فترة هذا الأموكال بإستعمال كل الوسائل ضده و ضد مناصريه⁽²⁰⁾ .

والملاحظ عموما في هذه المرحلة تغير النظام الاقتصادي بدخول الزراعة ومن ثم ظهور منتجات جديدة في المنطقة، ثم التركيز الفرنسي على تجارة القوافل ومحاولته

إخترق المنطقة التي رفض سكانها ذلك، تلت هذه التطورات بداية الاحتكاك الحاد مع الاحتلال الفرنسي الذي أدى إلى بداية تدخله في أهم وأدق تفاصيل المجتمع في أهقار خاصة بعد معركة تيت في 1902 م .

المرحلة الثانية من عام 1902 إلى غاية 1954م:

بعد هزيمة تيت أخذت الحياة منحى جديد بداية السيطرة الفرنسية في هذه السنة بدأت الإجراءات الفرنسية على مستوى المناطق الصحراوية فيما يدل على إستكمال الاحتلال توسعه في الصحراء بدخوله مناطق أقصى الجنوب و بدا و كأنهم يتهيؤون لوضع قوانين و وضعيات جديده و هو ما يؤكد صدور قانون 24 ديسمبر 1902م الذي وضع تنظيمًا إداريًا خاصًا بأقاليم الجنوب يختلف عن ما وضع في الشمال إذ ستخضع أقاليم الجنوب للحكم العسكري⁽²¹⁾ و أعاد الفرنسيون كل تصوراتهم الدقيقة عن نواحي الحياة في هذه الرقعة الجغرافية و خاصة الوضعية الاقتصادية⁽²²⁾ .

و بما أن مناطق الهقار و آجر لم تخضع نهائيًا أو لم تقضي قوات الاحتلال الفرنسي نهائيًا على جيوب المقاومة و هو ما لن تتمكن منه إلا مع مطلع سنة 1920م فإن التنظيم شمل كل من عين الصفراء و البيض و المشرية و بشار و غرداية و لغواط و الجلفة و توقرت و بسكرة و ورقلة و منطقة التيديكلت⁽²³⁾ ، و لكن إلى جانب لم يتوقف الفرنسيون في انتظار إستكمال سيطرتهم بل واصلوا السعي لتغيير الأمور في المنطقة فإلى جانب محاربة جيوب المقاومة تدخلت و بشكل مباشرة في إدارة شؤون السكان بالهقار حيث أبقت على نظام تمنوكلة و لكنها أصبحت تتدخل فيه و لعبت دور الضاغطة بالقوة و الحصار الاقتصادي لحسم الصراع على منصب الأموكال لصالح موسى أق أمستان⁽²⁴⁾ الذي فرضته في النهاية و الذي وقع معها اتفاقية عين صالح سنة 1904م⁽²⁵⁾ و هي المعاهدة التي وقعها أق أمستان مع "ميتوا" رئيس ملحقة عين صالح و التي وجه له رئيسه "لابيرين" انتقادات لاذعة للاتفاق الموقع في عين صالح و الذي لم يرق له خاصة أنه كان يرى فيه أنه لا يدل على هزيمة سكان الأهقار ما جعله يقوم بدورية لتقعد الأمور ميدانيا إلى تامنغست ما بين شهري مارس و جويلية 1904م و لكنه لم يلتقي موسى الذي كان غائبًا عن المنطقة و لكن مراسلات و

ملاحظات "لابرين" و تعليماته لرئيس ملحقة عين صالح الجديد" دينو" عجلت بإنتقاله إلى تامنغست لإعادة صياغة اتفاقية بصياغة جديدة و شروط مخالفة للأولى التي وقعها نظيره ، و بالفعل و هو ما تم في تامنغست و أعيدت مراسيم تنصيب موسى أق أمستان أمنوكال و تسليمه ختما و إلياسه برنوسا⁽²⁶⁾.

و الملاحظ في هذه المرحلة بداية تحكم الاحتلال الفرنسي في زمام الأمور في منطقة الأهقار و ان كان ظاهريا يبدو أنها بإبقائها الأنظمة التي كانت سائدة أنها اختارت أسلوب الإدارة غير المباشرة للسكان و لكن الأحداث و التطورات سثبتت أن هذا الأمر ما هو إلا مرحلي إذ ستتدرج في السيطرة على الأمور ، و مثال ذلك أن أمنوكال الذي كان يدير شؤون الساكنة في إقليمه ظل كذلك و لكن صلاحياته باتت محدودة في ظل وجود الاحتلال الذي صار ينصبه و في الاتفاقية الموقعة في تامنغست سنة 1905م.

و لفهم أكثر للمتغيرات الاجتماعية التي ستحدث تغييرا و المتعلقة مثلا بصلاحيات أمنوكال و ذات الصلة بموضوعنا و هو التكافل الاجتماعي حيث أنه من ضمن الصلاحيات الاقتصادية للأمنوكال التصرف في الاحتياطي العمومي الذي يكونه شخصا من مجموع الهدايا التي تصله و التي يصرفها في تقديم المساعدة لفقراء بطريقة تكفل كرامتهم حيث يمكنهم إستعارة رؤوس الغنم الحبلى من الأمنوكال ، كما يدخل ضمن صلاحياته الاجتماعية تقديم مساعدات حماية الفقراء اقتصاديا و تقديم يد المساعدة و الدعم لهم ، و كل هذه الأشياء المهمة كان يضطلع بها الأمنوكال و له مصادره التي منبعها صلاحياته الاقتصادية و الاجتماعية منها حقوق مرور القوافل بأراضيهِ و الضريبة السنوية على رؤوس الماشية و السلع لأصحابها التابعين لإقليمه و جباية الأراضي الفلاحية أو المحاصيل الفلاحية الموسمية⁽²⁷⁾ فكيف لا يحدث خلل مع المساس بصلاحياته؟.

و بدأت أولى مظاهر إنشاء الإدارة الفرنسية التي بدأت تنمو تدريجي للأنظمة التي كانت سائدة لا بل و ستتحكم في تغيير أنظمة الحياة الاجتماعية تماما في الهقار إذ و قبل سنة 1949م بدأ الفرنسيون في انشاء اللبئات الأولى للإدارة الفرنسية في المنطقة

بداية من سنة 1908م تم إنشاء مركز عسكري في منطقة تغاوهاوت⁽²⁸⁾ ، و لم تنتقل الإدارة إلى المدينة الحالية الا بعد سنة 1918م⁽²⁹⁾، و تجدر الإشارة إلى أنه في ظل النقلة السريعة على مستوى التغيرات الاجتماعية و ما حصل من أحداث من سنة 1905م إلى سنة 1916م كذلك وصول شخصية إهتمت كثيرا بالجانب الاجتماعي و وضعت أرضية خصبة للتوغل في شؤون سكان منطقة الأهقار و هو صديق "لابرين" الراهب "شارل دوفوكو" الذي استقر بمدينة تامنغست⁽³⁰⁾ و كان يتنقل و يتحرك في الحياة الاجتماعية في المدينة التي لم تكن تتجاوز حينها العشرين بيتا دخل على الخط يعمل بجد في مجال يعرفه جيدا و هو المجال الاجتماعي و استطاع فوكو أن يقدم المعونة و المساعدات للسكان الذين استطاع أن يربط بهم صلاة طيبة بالرغم من تحفظاتهم الدينية اتجاهه⁽³¹⁾، ثم استمرت التغييرات حيث و بعد استقرار الأمور نهائيا لصالح الاحتلال الفرنسي اتخذ من مدينته تامنغست عاصمة رسمية للأهقاربداية من 20 جويلية 1920م ، و دعم إجراء هذا بقرار رسمي في 08 ديسمبر 1928 يلحق بمقتضاه بلدية تامنغست ببلدية الأهالي المسماة تيديكلت-الهقار و هو إجراء جاء تكميلا للإجراءات السابقة التي تمت مطلع سنة 1902م الآتفة الذكر⁽³²⁾.

و لم تتوقف الأمور عند هذا الحد ففي بداية الأربعينات زاد الاحتلال الفرنسي من تنظيم إدارته في الصحراء الجزائرية إذ قسمها إلى عاملتين السائرة في الجنوب الغربي و الواحات في الجنوب الغربي بموجب المادة 50 من قانون 20 سبتمبر 1947م⁽³³⁾ و ضم منطقة الهقار هذه المرة إلى عمالة الواحات و استمرت التغييرات و الإجراءات ففي 15 جويلية 1949م أنشأت بموجب مرسوم رئاسي بلديتين بلدية تيديكلت و عاصمتها عين صالح و بلدية الأهالي في الهقار و عاصمتها تامنغست⁽³⁴⁾.

و راحت المدينة التي كانت قرية صغيرة تنمو نموا سريعا و غير منتظم⁽³⁵⁾ أدت هذه التغييرات السريعة منذ سنة 1920م على المستوى الإداري إلى تغيير أنظمة و نمط العيش ففي المدينة الجديدة عاصمة الإقليم الجديدة ظهرت نمط جديد في الحياة داخلها بسبب التواجد العسكري و الإداري الفرنسي انتهى تقريبا نظاما المقايضة و بدأ ينحصر أمم ظهور العملة النقدية ففي المدينة كان هناك عدد كبير من العسكريين

المجندين في فرق المهاري التابعة للجيش الفرنسي و مقابل عملهم هذا باتوا يتلقون رواتب شهرية ، و زادت حاجياتهم و إلى جانبهم ظهرت فئة أخرى هي فئة التجار التي قدمت في معظمها من تيديكلت و غرداية و متليلي و مس التغيير كذلك فئة الفلاحين التي استقرت تستثمر حول منابع المياه من فقارت و آبار دخلوا على الخط الجديد الذي ربطهم بعلاقات جديدة مع فئة التجار خاصة⁽³⁶⁾ تختلف عن العلاقات التي ذكرناها آنفا.

و عادت سرعة التغيير من جديد مع ظهور الثروات الباطنية و تغييرها للعديد من المعطيات على صعيد الصحراء الجزائرية في بداية الخمسينات و ظهور التنافس العالمي ما بين الشركات للاستثمار في هذا المجال⁽³⁷⁾، و في تامنغت ما بين عامي 1952 و 1953م عادت وتيرة سرعة التغييرات و التي مست بعض الجوانب التي حافظت على وجودها و بدا للوهلة الأولى أنها تأقلمت مع الوضع الجديد و السبب الرئيسي ظهور العملة النقدية في المعاملات فقطاع الفلاحة أو فئة الفلاحين التي بدى أنها حافظت على نشاطها و طورته سرعان ما أثرت فيها الحياة الجديدة و هاجر الكثير منهم أراضيهم بحثا عن عمل في شركات التقيب عن المعادن و المحروقات الفرنسية التي تعطي مقابل العمل أجرا شهريا فتغير النظام و حتى البدو الرحل تأثر نشاطهم حيث بات يبيع منتجاته الحيوانية مقابل عدد من الدراهم القليلة التي لا تفي كل حاجياته عكس المقايضة التي كانت تمكنه من الحصول على حاجياته بشكل مباشر و تضمن له قيمتها ، ثم إن ظهور الشاحنات و الآلات بدأ يقضي على هوامش عديدة في حيات البدو الذين بدأت الحياة الجديدة تلتهم قدراتهم شيئا فشيئا⁽³⁸⁾.

ثانيا : التكاتف و التكامل الاجتماعي مظاهره و عوامل قوته و مميزاته:

من خلال الأحداث و المحطات التاريخية المذكورة آنفا بالرغم من أننا لم نفصل فيها إلا أنها أبانت لنا أن مجتمع أهقار عرف تغييرات جذرية و محطات تغيير سريعة نهاية القرن التاسع عشر و بداية العشرين سرع من وتيرتها التحولات التي أحدثها الاحتلال الفرنسي خلال تواجده بالمنطقة فمن منطقة معزولة عن القوى الخارجية و التي لا يمكنها اختراقها أو التدخل فيها إلى منطقة غيرت الاحتلال كل معالمها و

فتحتها على العالم الخارجي لم تصمد معظمها في وجه التحديات الجديدة و التي سنتناولها في العنصر الموالي ما سيوصلنا إلى الاستنتاج الذي يؤكد سرعة التغييرات التي حصلت خلال هذه الفترة الزمنية فتبدأ فيما بعد التأقلم أو التحول إلى الوضع الجديد ففيما تظهر مظاهر التكافل الاجتماعي ؟

هناك جملة من العادات و التقاليد تمثل تماسكا اجتماعا لا تظهر للناظر للمجتمع من الوهلة الأولى فعلى سبيل المثال لا الحصر عادات الزواج في المنطقة و التي يهتم الكاتبون حولها بمظاهر الفرح و نمط اللباس و طريقة إحياء الحفلات و نادرا ما تم تناول طريقة تعاون الجيران و الأقارب مع أهل العرس ، فالمهر في هقار لم يكن ملك للمرأة بل هو مشترك بل يعد رأس مال لبناء العائلة الجديدة⁽³⁹⁾ ، و قد اخترت هذا المثال للحديث عن العمل الخيري ففي أيامنا هذه نسمع الكثير عن الجمعيات الخيرية التي أصبحت تعمل على تزويج عدد من الشباب نظرا لمتطلبات الحياة الجديدة التي تقف عائقا في وجه الكثيرين كان للمجتمع عادات و تقاليد تغطي النقص الذي قد يواجهه أحد أفرادهم و مثال على ذلك أن تكاليف العرس قد تهون على عائلة العريس أو العروس إذا عرفنا أن الكثير من العائلات أو الذين تربطهم صلة مباشرة أو حتى غير مباشرة بوالدي العريس أو العروس تسهم في أعباء العرس ، فقد كانت العائلة من أبناء عم العريس أو العروس أو أبناء الخال أو الخالة أو العمة تجتمع و تجمع أموالا لتشتري بعض المستلزمات رأس أو رأسين من الغنم مع بعض المواد الغذائية ثم تنقل في موكب يستقبل بالزغاريد و الفرح حين وصوله إلى وجهته عند بداية العرس ، و تتوالى على منوالها من الأقارب الآخرين حيث يجد صاحب العرس أن المساعدات التي جائته من أقاربه وفرت له ما يمكنه من إكرام ضيوفه في العرس و تفوقها أحيانا و لا تسمى مساعدة بالرغم من أن هدفها و غايتها هي كذلك بل تسمى "القصة" و تحرص الكثير من العائلات على الحفاظ على هذا التقليد الذي لا يشترط أن يكون للأقارب فقط بل يمكن أن يكون للأصدقاء أو للأصدقاء الأب أو الأم ، و إنما الأقارب يعتبرونها واجبا بالرغم من أنها ليست إلزاما .

نفس الأمر يظهر كما في كل المجتمع الجزائري في العديد من المناسبات العائلية و الاجتماعية ما بين الجيران و الأقارب فمثلا في حفلات الختان خاصة بالنسبة للنساء اللواتي يلزمن أنفسهن بمبلغ معين يدفع لزاما إلى أم المختون على هامش الوليمة أو على هامش زيارتهم لها للمباركة ، و نفس الشيء بالنسبة للمآتم التي تظهر تكاتفا و تنظيما فطريا تعود المجتمع من دون أن يشعر المعني بالمساعدة بالعاله و هي حسب رأيي أنسب و أحسن بالنسبة لكرامة الانسان الذي لا يشعر إلا أنه في وسط مجتمعه و أهله و أصدقاءه لا غير .

ثالثا: العوامل التي أدت إلى بداية تلاشي التكاثر و صور الصمود فيه :

هناك عدة عوامل أدت إلى تلاشي أو بداية تفكك بعض صور التكاثر الاجتماعي و العمل الخيري لا يتسع المجال للإحاطة بها جميعا و لكن يمكن أن إستنتاج بعضها كما يلي :

- تغير متطلبات الحياة و تغير نظام المعيشة مع الرغبة التمسك بالعوادات و التقاليد التي كانت تشكل عاملا من عوامل رفع العبأ عن الفرد الذي كان يعيش في جماعة و هذه الجماعة هي التي يتعاون أفرادها فيما بينهم كل ما حلت الدائرة بأحد فقد انتقل من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار بالمدينة و لم يمر زمن طويل حتى يتأقلم مع تناقضات واقعه القدم مع واقعه الجديد حتى يتغير من جديد و من الرعي أو الفلاحة إلى العمل في الورشات و المصانع مقابل أجر و لم يعد المعيار عدم امتلاك أو عدم حيازة أشياء بل صارت تقاس بحجم المدخول الذي يتلقاه .

- ظهور مجالات أخرى بحاجة إلى الالتفات إليها ففي وقت لم يكن السكن من المتطلبات الضرورية إذ كانت الخيمة أو الكوخ تكفي تغيرت و بسرعة كبيرة جدا المعطيات على الرحل الذين استقروا و بات السكن من بين أهم الإشكالات التي يواجهها الكثير من الأفراد في المجتمع و باتت في عصرنا مجالا للعمل الخيري للعديد من الجمعيات الخيرية التي تبحث على مساعدة على إعادة ترميم أو بناء مساكن العائلات و اليتامى .

- العولمة و وسائل الاعلام حيث باتت هذه الأخيرة واحدا من أكبر المؤثرات في حياة الأفراد و المجتمعات بطريقة أو بأخرى فهي سلاح ذو حدين تساعد على الانتشار السريع للمبادرات الخيرية و لكنها كذلك أسهمت في استغلال العمل الخيري لصالح إيديولوجيات سياسية و فكرية و دينية مختلفة ، و العولمة ساهمت و لازلت في تغيير الفكر الاجتماعي الذي كان منغلقا على نفسه يدافع عن قيمه و أفراده فبات المجتمع يتجه أكثر يوما بعد يوم نحو الفردانية و هي من بين أخطر المميزات التي تؤدي إلى تراجع التكافل و التآزر الاجتماعي .

و ختاماً يمكن القول بأن كل ما جاء في الأسطر أعلاه هي محاولة لإعطاء لمحة تاريخية عن التغييرات السريعة التي عرفها مجتمع أهقار نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين أثرت في الكثير من المعطيات الاجتماعية تعد مهمة جداً لفهم ما أحدثته تطورات الحياة و ما أدخلته على حياة الانسان ربما زاد من الأعباء الملقة على عاتقه ، و فهم خصوصيات المجتمع لمعرفة الأساليب الأنجع و الأحسن للعمل الخيري ، و لن ندعي بأي حال أننا أعطينا النظرة اللازمة بل هي إحدى المحاولات التي تدل على أمرين الأول هو صعوبة تناول مواضيع من هذا النوع و بهذه الدقة و الثاني الحاجة الكبيرة للمزيد من البحث في مثل هذا الموضوع من قبل الباحثين في التاريخ و علم الاجتماع .

الهوامش والمراجع المعتمدة:

- (1) حسن مرموري ، التوارق بين السلطة التقليدية و الإدارة الاستعمارية في بداية القرن العشرين، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ، 2010، ص ص 193-200.
- (2) الحاج أحمد البكري: أمنوكال السادس في أهقار وهو الابن الأكبر للبنت البكر لأمنوكال السابق أق مامة سيدي الزهرة ، وهو أحد أبرز المرشحين حسب العادات التي تتناقل بها السلطة التي يمنحها الخط الأمومي للمرشح، وقد افتك المنصب بإمكانياته وقدراته وتولاها ما بين 1850 و 1877م. انظر: مرموري، المرجع السابق، ص 195-196.

(3)LOUIS PILATE, Histoire de TAZROUK, centre de documentation saharienne , Ghardaïa , 1995, p 10

(4) شهادة كرزكية لوغلوغ، الأيام الدراسية حول الحاج أحمد البكري والتحول الاقتصادي في منطقة الهقار، تحت شعار: دراسة التاريخ لبناء المستقبل، تازروك 25-26-27 ديسمبر 2016

(5) - PILATE, Op Cit , p08.

(6) كرزكية المرجع السابق.

(7) محمد مبارك كديده، «النظام السياسي عند التوارق والتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب»، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع4 ، ديسمبر 2014، ص18-26 .

(8) - محمد مبارك كديده ، « مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق اقصى الجنوب الجزائري من خلال كتاباتهم -هنري دوفرييه انموذجا»، العدد 11 مجلة افاق علمية -جوان- جويلية 2016 ، ص 62-72.

(9) -Henri Barth, Voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale pendant les années 1849 à 1855 , BOHNE Libraire , 1861, p42-75

(10) - HENRI BARTH , «Idées sur les expedition scientifique en Afrique», Extrait du bulltin de la société de géographie, Paris , 1872, pp 10-19.

وانظر : محمد الكبير فقيقي ، الدور الاجتماعي والاقتصادي للقوافل التجارية والحجبة بالصحراء الجزائرية أثناء الفترة الحديثة ، مجلة دراسات ، ع 2 ، ديسمبر 2015، ص186-195. و كوثر هاشم و علي قشاشني ، فضاءات التبادل التجاري بني اجلزائر ودول الساحل الإفريقي على ضوء كتابات الرحالة واملبعوثي الفرنسيين خلال القرن 9م،

(11) - حسين جاجو، دور أغدامس التجاري ما بين طرابلس و السودان الأوسط و الغربي خلال 1850-1881، جامعة الجزائر ، 1981، الجزائر ، ص88

(12) - Mohammed Ben Otsmane Elhichaichi , Voyage au pays des Senoussia, à travers la Tripolitaine et les Pays Touareg, Librairie Maritime et Colonie, Paris, 1903, p 176.

(13) فتيحة يطو، «الصراع الدولي على الطرق التجارية في الصحراء الجزائرية»،
المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، ع01، ص-359
368.

(14) - يطو ، المرجع السابق ، ص 365-366.

(15) - كديده ، النظام السياسي عند التوارق ، المرجع السابق ، ص 22
Masquery (E), L' incident de Ghadames , Bulletin du comité
l'Afrique Française ,1984, p37.

(16) -Henri Brosselard ,Les Deux Missions Flatters au Pays des
Touaregs Azdjer et Hoggar, Librairie Fume,2emeed
Paris,1889,p - 5 3.

(17) - Bourgeot André, Les échanges transsahariens, la Senusiya
et les révoltes twareg de 1916 -17 ,Cahiers d'études africaines,
n°69-70, 1978 , vol18, pp. 159-185

(18) -Zimmermann Maurice, La France dans le Sahara.
L'occupation d'In Salah. La mission Foureau-Lamy , Annales
de Géographie, n°44, 1900, t. 9, pp. 180-182

(19) - مرموري ، المرجع السابق ، ص328

(20) - كديده ، المرجع السابق ، ص23.

(21) محمد مبارك كديده، الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية وطاولة

المفاوضات النهائية، دار المعرفة، الجزائر، 2013، ص 23 وانظر: نور الدين

عسال، «التنظيم السياسي والإداري الاستعماري للصحراء الجزائرية»، مجلة

المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، ع10، ديسمبر 2015، ص

125

(22) -Gouvernement général de l'Algérie , Exposé de la situation
générale des territoires du sud de l'Algérie Années 1914-1915
,p 9-14, p148.

(23) - Maurice Zimmermann, La valeur économique des
Territoires du Sud algérien , Annales de Géographie, n°140,
1917, t26, pp 158-160

(24) - كديده ، النظام السياسي عند التوارق ، المرجع السابق ، ص ص23-24.

- (25)- للاطلاع على بنود اتفاقية عين صالح 1904م أنظر : مرموري ، المرجع السابق ، ص ص353-360.
- (26) - للاطلاع على تفاصيل و بنود اتفاقية تامنغست 1905م أنظر مرموري ، نفس المرجع ، ص ص 360-369.
- (27) - مرموري ، نفس المرجع ، ص ص176-178.
- (28)- منطقة استقر بها عدد من السكان قبل مدينة تامنغست الحالية و تبعد عنها حوالي 100 كلم شرقا.
- (29) - محمد السويدي ، بدو التوارق بين الثبات و التغير ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ، ص 141.
- (30)- محمد مبارك كديده ، منطقة الهقار في إستراتيجية الاحتلال الفرنسي التبشيرية و محاولة الغزو الروحي ، مداخلة في الملتقى الوطني حول المخططات الإستعمارية لطمس الشخصية الوطنية خلال القرن 19 التنصير نموذجا بمداخلة : ، تامنغست 21-22 أفريل 2013.
- (31)- إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى و شواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د.ت ، ص ص112-116.
- (32)- السويدي، المرجع السابق ، ص142.
- (33)- عسال ، المرجع السابق ، ص125
- (2)- السويدي، المرجع السابق ، ص142.
- (35)- محمد هقاري ، « مدينة تمنراست نموذج المدينة الصحراوية » ، حوليات التاريخ والجغرافيا ، ع5، ص 107-120
- (4)- السويدي ، المرجع السابق ، ص143.
- (5)- كديده ، الصحراء الجزائرية ، المرجع السابق ، ص43.
- (38)- السويدي ، المرجع السابق ، ص143.
- (2)- عبد السلام بوشارب ، الهقار أمجاد و أنجاد ، المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، 1995 ، ص 82.